المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

نوازع طموح الذات
قراءة في فخر المتنبي من منظور سيميائية الأهواء

SELF AMBITION TENDENCIES
A Reading of Al Mutanabbi's Pride Self
From The Semiotics of Passions Perspective

سليمة مدلفاف

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية جامعة البليدة

Salimamedel@yahoo.fr.02

تاريخ الإرسال: 20 / 01 / 2023 تاريخ القبول: 02 / 02 / 2023 تاريخ النشر: 31 / 03 / 2023

ملخص:

خصصنا عملنا هذا لذات أبي الطيب المتنبي من زاوية تجلّت من خلالها ذاتا هويّة متوترة، فرصدنا تجلياتها التلفظية الهووية في غرض الفخر. ولمّا كان الانسياق والهوى فائضين لديه أدرجنا عملنا في سياق سيميائية الأهواء وتبنيناه طموحا؛ ذلك أن الفخر هو خطاب تذويت يقوم على الإعلاء من الشأن الفردي والقبلي. وقد ركزنا على الفردي منه لأنّه ديدن المتنبي، فتعالق بذلك مع مفهوم الطموح في الأهواء الأدبية السيميائية، ولأجل تتبع هوى الطموح عند الشاعر تناولنا العناصر الآتية:

- **مفهوم الطموح في مدونة الأهواء الأدبية.**
- **التمظهرات المعجمية الموحدة في المعاجم العربية.**
- **شكل ذات الطموح.**
- **توتر الذات.**
- **الأدوار الباتيمية.**

الكلمات المفاتيح: طموح؛ فخر؛ هوى؛ توتر؛ دور باتيمي.

Abstract:

This study focuses on viewing Abu Al-Tayyib Al- Mutanabbi's self from a perspective that reveals a tense identity; in which we observed its passionate verbal demonstrations of pride. Since deviations and emotions are superfluous to the poet, the work was encapsulated in the context of the semiotics of passion and embraced as ambition. This is due to pride being a subjectivization discourse that was centered on individual and tribal status exaltation. Yet, we have only concentrated on the individual status, as it reflects Al- Mutanabbi's writing habit (self centered). Furthermore, it corresponds with the notion of ambition in the literary semiotic of passions.

In order to pursue the poet's passion of ambition, we have addressed the following elements:

- The concept of ambition in the nomenclature of literary passions.
- The Unified lexical manifestations in Arabic dictionaries.
- The figure of the ambitious self.
- Self-tension.
- pathemic roles

Keywords: Ambition, Pride, Passion, Tension, Pathemic Role

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

مقدمة:

اعتلى المتنبي مكانة لا تدانى فشغل الدارسين معاصريه ومن تلاهم، وكانت للنقاد فيه مواقف متباينة بين إطراء وثلب، وقد لفتنا أن الشاعر على كثرة الدراسات فيه لا يزال ديوانه أرضا خصبة للمساءلات النقدية الأدبية؛ لقد اغترف الشعر من معين لا ينضب، فحلّق به بعيدا متطاولا على عصره ومن فيه. فكاد ينفرد بخصوصية الشعر الذاتي، ذلك أنّ ذاته هيمنت من جهتي التلفظ والهوى؛ فكان شاعرا موضوع شعره سواء كان صرّح بذلك كما هو في نموذجنا في غرض الافتخار الفردي أم كان مادحا متواريا أم هاجيا مداجيا أو حتى راثيا. لقد تشرّب مقوّمات العزّة العربية والشموخ وعاش رهين حلم الإمارة في برنامج حياتي شعري طامعا بالمجد والسؤدد. لقد خطط لهذا البرنامج من صباه وأظهره علنا مع سيف الدولة وكافور. اتسمت مرحلة الصبا بالعنفوان والتمرد فسطّر مستقبلا قيد التحقيق فشبّ ناقما ثائرا معترفا بإفراطه في الكبر فقال:

أَيَّ مَحَلٍّ أَرتَقـــــــي أَيَّ عَـــظيمٍ أَتَّقي
وَكُلُّ ما قَد خَــلَقَ اللهُ وَما لَم يَخـــــلُق
مُحتَقَرٌ في هِمَّتـــــي كَشَعرَةٍ في مَفرِقي

وقد جاء هذا المبحث متناولا نوازع طموح الذات المفتخرة حيث نازعت الشاعر نفسه إلى بلوغ مرتبة الأنبياء فانجذب إلى خطاب المبالغة في تزيين الذات لتوجيه مقاصد رغبتها.

مدونة الطموح في معجم الأهواء الأدبية:[1]

يفتتح معجم الأهواء الأدبية Dictionnaire Des Passions Littéraires مدخله للطموح Ambition باعتباره هوى بسؤال إشكالي: هل الطموح إيجابي أم سلبي؟ فالقول بأنّ إنسانا ما ليس له طموح أمر مزدرٍ يدخل في باب اللوم؛ والقول بأنّ إنسانا طموح كذلك، فهل المسألة قياس مثلما هو الأمر بالنسبة للأهواء المتعلقة "باليومي": المميزات والنقائص؛ الفضائل والرذائل؛ إنّ المسألة معقدة صعب حلّها؟[2]

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

فالطموح بؤرة مضغوطة في الذات بين السلب والإيجاب، وهو راجع إلى التقويم الاجتماعي/ الديني/ النفسي على اختلاف الثقافات؛ وهو من حيث كونه هوى:

1. له نفس طويل، ممتد في الديمومة واستمراري، ذلك أنّه يمكن أن تتغيّر الأهداف وتتغير معها النتائج ولكن المسار يبقى هو نفسه غير منته، فذات الطّموح تريد دائما أكثر ولا ترتوي* ولا تمتثل لمعرفة تقيّدها بعدم إمكانية الذهاب أبعد مما وصلت إليه.[3]
2. يفترض الطموح هدفا ووسائل ومواقف وسلوكا وطاقة ثابتة، كما يفترض إحساسا داخليا بالتفوق؛
3. تقوّمه "الرغبة" Désir وهي سابقة عن الإرادة Vouloir والقدرة Pouvoir؛ ذلك أن حركة النفس وطموحها الدؤوبين ناتجان عن رغبتها، فما دامت النفوس ترغب فهي في حركة وطموح؛ وتقييمه معقد لأنّ له آثارا سلبية (طالحة) Dysphorique وإيجابية Euphorique*.[4]
4. لا يكون الطموح دون بعض الازدراء والتدنّي، وقد يكون فطريا أو مكتسبا ناتجا عن بعض الظروف كالذلّ الاجتماعي أو الفردي تتبعه رغبة في الانتقام وتحقيق الكون الأقوى والأشهر والأعظم وذلك لانتزاع تقييم الآخر واعترافه بالقيمة الحقيقية للطّموح؛ علما أن تقييم الذات داخلي ولكنه يحتاج إلى تأكيد في نظر الآخر.
5. و الطموح من حيث هو موضوع هوى متنوّع التمثيل: السلطة، المال، السمعة، التفاني لأجل الغير وهو ما يؤدي إلى القول إن الطموح ليس دائما سلبيا؛[5]
6. ويفترض أن نكون منفتحين على العالم*.[6]

أما العناصر الباتيمية للطّموح Les Eléments Pathémiques * فهي:

1. الاعتزاز بالذات واحترامها؛
2. الانحراف؛
3. الذكاء في المواقف؛
4. الحنكة السياسية. *[7]

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

أما الذات الهوية/ الطّموح/ وهي متأرجحة بين الفعل والكون فتتميز بما يلي:

1. الاعتقاد في القدرة على الفعل للتعهد به:Croire En Son Pouvoir Faire .
2. الاعتقاد في الخصال لأجل إرادة فرض الذات: السيطرة Vouloir S'imposer.[8]
3. تسجيل برنامج الطموح في الحلم: le rêve ؛
4. الشعور بالدونية وانحطاط المستوى الاجتماعي: ذلك أنه يرى نفسه في مرتبة أدنى بسبب الفوارق الاجتماعية؛
5. له سلوك يثبت له القدرة على التسلق الاجتماعي؛
6. وحتى تكون الذات طموحة يجب أن تعرف ذاتها وتمارس عليها نوعا من التجسس؛
7. يفترض في الطموح الأنانية والكذب والكره للآخرين؛
8. الطموح سريع الانفعال وغير اجتماعي لذا فإنّ الوضعية الفضائية التي تلائمه هي العلوّ[9].

يكشف المعجم في تقديمه للطموح عن إفراط في الإحساس بالنفس من حيث هي ذات لها برنامج مسطر قبليا تسعى –من خلاله– إلى تحقيق التموقع فوق الآخرين متوسلّة في ذلك الاستراتيجيات التي يتيحها لها الواقع والسياق اللذان يحتضنانها دون أن تراعي في سبيل تحقيق أهدافها التي تنتهي الأخلاقيات الضابطة للعلاقات الغيرية وهو ما أدّى إلى تمييز الطموح بمجموعة من الباتيمات التصنيفية المقيّمة سلبيا(طالحة)؛ وإن كنّا لا نلغي –كما ورد في المعجم– أنّه يمكن للطموح أن يقيم إيجابيا وهو ما يسمح لنا بالقول إن للطّموح برنامجاً محصوراً، مجال الرؤية فيه ضيّق ولكنه ممتد في الأفق والارتفاع، ذلك أن نظرة الطموح مركزة على الموضوع تمارس فعلا إقصائيا للمحيط غير أنه إقصاء عمدي عن طريق جدار شفاف متى أرادت اخترقته، إن نظر الطموح مترام ولكن مقصده موّجه مرتبط بموضوع معيّن قد تسعفه فيه موضوعات أخرى وهو ما يجعله متنوعا على الدوام ويجعل له قواسم مشتركة بين الثقافات على اختلاف عتبات القياس الأخلاقية.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

في المعجم العربي:

أورد صاحب المقاييس الدلالة الأوّلية للفظة: طمح: "أصل صحيح يدلّ على علوّ الشيء، يقال طمح ببصره إلى الشيء علا، وكل مرتفع طامح"[10]. وجاء في تاج العروس أنّ:

طمح: ارتفع، طمح بصري إليه: امتد وعلا وهي من المجاز...طمحت المرأة على زوجها، جمحت فهي طامح أي تطمح إلى الرجال: الطامح من النساء التي تبغض زوجها وتنظر إلى غيره... أطمح في الطلب: أبعد... كل مرتفع طامح... وكل مرتفع مفرط في تكبر وذلك لارتفاعه. طمح ببصره طمحا: شخص وقيل رمى به إلى الشيء، طمح الفرس: يطمح طمحا وطموحا: رفع رأسه في عدوه رافعا بصره، وفي التهذيب: إذا رميت بشيء في الهواء قلت طمحت به تطميحا[11]. وشرح صاحب اللسان: طمحت المرأة: نشزت ببعلها والطِّماح مثل الجماح. ورجل طمّاح: بعيد الطرف، وقيل شره وطمح بصره إلى الشيء: ارتفع[12]. أمّا حديثا فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "طمح الشخص: تطلع إلى تحقيق هدف بعيد. النفس تطمح والأسباب عاجزة. تعبير عن الحالة النفسية السيئة لصاحب الطموح... رغبة شديدة لتحقيق شيء طموح لا يشيخ، يسعى جاهداً لتحقيق طموحاته"[13].

تمدّنا المعاجم باعتبارها خزائن ثقافية بالدلالات الحرفية والمجازية المؤسسة لوحدة الطموح (طمح) في مدوّنة الأهواء العربية؛ فالطموح من خلال التعريفات السابقة ومن منظور تحديد المدونة الإستهوائية؛ هو:

– امتداد البصر إلى شيء بعيد؛

– العلاقة بين مادي البصر والشيء علاقة انفصال؛

– رغبة وتطلّع شديدان في/إلى تحقيق الشيء المفقود؛

– مقيّم سلبيا في عرف العلاقات الاجتماعية؛

– استدعاء الوحدة المعجمية لوحدتي الجموح وهو "ذهاب الشيء قُدُما بغلبة وقوّة"[14]، والنشوز وهو العلوّ والارتفاع؛

– مجاله بصري ثنائي الأبعاد بين الامتداد والارتفاع.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

يسعفنا قول المرتضى الزبيدي بالمعنى المجازي في "امتدّ وعلا" شرحا لـــ"طمح البصر إلى..." في الانفتاح بالطموح على مجال الأهواء والتعلّق بالشيء، ذلك أن الدلالات الأولية ترمي إلى تأكيد تعلق الطامح (الذات) بشيء بعيد هو منفصل عنه ويرغب فيه، وهو ما يجعله مرغوبا فيه على الدوام. فالسعي إلى تحقيق كائن دون انقطاع ودون يأس –عند الذات– وهو ما يكسبه صفته الاستمرارية والتوجه نحو الاستقبال فنلمس فيه الاندفاع وعدم التوقف اقتضتهما علاقة الانفصال والرغبة في التحوّل عنها إلى الاتصال؛ وقد استوجب ذلك توفر الطاقة المحفزة على الفعل فاتسمت الرغبة الشديدة لتحقيق الموضوع المرغوب فيه والتطلّع إليه.

ملمح آخر نسوقه وهو إشكال التقييم بين السلب والإيجاب، الطالح/ الصالح؛ فهو من حيث فرديته منبثق عن رغبات شخصية في تحقيق أكوان (المرغوب فيه) Désirable (كينونات) états ربّما خطط لها الطموح في أحلامه على القول بأن رمي البصر مجازا هو الحلم، ويبني الطموح طُموحه في أحلامه –كما هو وارد في معجم الأهواء الأدبية، وقد أشرنا إلى هذه الفكرة سابقا– وهو في هذا التصور الفردي إيجابي، قد يتعكّر جوّه إذا باء بالفشل وعجز عن تحقيق البرنامج على الرغم من الجهود الجسدية والنفسية التي تندرج في تكييفات (القدرة) Pouvoir مسيّجة بالآمال المحفّزة (للإرادة) Vouloir. أما من حيث هو سلوك اجتماعي فيندرج ضمن الأهواء غير المرغوب فيها (مرغوب عنه) Indésirable، فتصنف المرأة في خانة النشوز وهو فضلا عن أصله الدال على الارتفاع والعلو[15]، فإنّه حمّال لجملة من التقييمات السلبية:

- دينيا: من حيث هو خروج عن الطاعة الزوجية؛
- اجتماعيا: من حيث هو استصعاب على الزوج[16] وتمرّد عليه؛
- نفسيا: من حيث هو بغض للطرف الآخر ورغبة عنه وجفاء يخلف أذى جسديا فنشز الرجل عن امرأته جفاها وضربها.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

وإذا كانت هذه الحيثيات انحرفت الذات ومدّت بصرها إلى أفق بعيد غير منتهٍ؛ وكان الطموح قائما على الاستمرارية واكتسى طابع المبالغة في الفعل والتكرار، وربّما كان لهذه الكثافة أثر في التقييم بنوعيه اللذين أوردناهما عند تجاوز العتبة الأخلاقية الضابطة. وقد ولّدت المبالغة والتجاوز كوكبة من السّمات المعزّزة لتخطيب الطموح باستدعاء النشوز كما رأينا وكذلك الجموح وهو كما أسلفنا منبثق عن شدّة وقوّة وسرعة حركة غير منضبطة. واللافت عندنا أنّ السياق المحتضن لهذه الدلالات هو "الحيواني" المتعلق بالفرس، والفرس قيمة إيجابية في الثقافة العربية؛ فطموح الفرس:"رفعه رأسه في عدوه رافعا بصره" وإذا جرى جريا غالبا واهتز فارسه وغلبه ولم يثن رأسه فقد جمح. واستعير للتعبير عن الانفلات من القيد وتجاوزه "فالجموح الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه، وهو مجاز لشبهه له بالجموح من الخيل الذي لا يردّه لجام. وكل شيء مضى على وجهه فقد جمح"[17].

وفي التقييم فإنه وارد في شكلين:

1– بما هو عيب: والتقييم بالعيب خصيصة ثقافية عربية: "إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راكبه".

2– وبما هو ليس عيبا: وهو أن يكون:"سريعا نشيطا مروحا"[18].

وبناء على ما تقدم فإن خطاب الطموح في الشعر العربي هو خطاب مجازي يتشرّب ذاتية اللافظ / الشاعر/ الموضوع/ إذ هو موضوع شعره، وأنّ "أناه" المهيمنة لا تعرف كبحا فالطريق ممتد لا تعرقله حواجز وهو ما يشفع لنا بتصنيفه (الطموح) في صنف الأهواء الفردية. ونتوكأ على المتغيرات التي أوردناها لإدراجه ضمن الصنافات الإيحائية Taxinomies Connotatives وهو ما تعلّق "بالصياغات الثقافية المخصوصة لكلّ هوى على حدة أو الاستعمالات المخصوصة لكلّ هوى ضمن دائرة ثقافية بعينها"[19]. وعليه فإنّ الطموح الذي نتناوله في قراءتنا للمتنبي هو من طبيعة "الكون الهووي الفردي" L'univers Passionnel Idiolectal، ذلك أننا رأينا بعض الخصوصيات المائزة لتمردّه وجموحه عن طريق التقاطعات بين الأهواء من قبيل: الطموح، المنافسة، الحسد، وهذه "الأهواء الثلاثة تشترك في تمظهر هووي بطرق متغيّرة، حسب الثقافات والحقب. إن هذه المتغيّرات تخضع خاصة لطبيعة التقاطعات السوسيواقتصادية: فالمنافسة تنحصر داخل طبقة أو مجموعة

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

اجتماعية، أمّا الطموح والحسد، فإنهما يتجاوزان هاته الحدود، وفضلا عن ذلك، فإن الطموح والمنافسة من طبيعة "تصاعدية"؛ في حين أنّ الحسد يفترض مبدأ تعادليا. ولهذا السبب، فما يبدو طموحا في مجتمع شديد التقاطعات، ويتضمن شرائح اجتماعية متعددة مضبوطة الحدود سينظر إليه باعتباره منافسة في مجتمع تقاطعاته ضعيفة، ولا يتوفر على شرائح اجتماعية متميزة. وبالإضافة إلى ذلك فكيف ما كانت محاولات المعيار الاجتماعي الابتعاد على كلّ فرد ضمن طبقته الأصلية، فإن المنافسة ستسقط على الطموح، والطموح ذاته يتحوّل إلى حسد"[20].

ولتعيين الكون الهووي الفردي حدّد مؤلفا كتاب سيميائية الأهواء: غريماس وفونتاني العناصر الكاشفة عنه في أربع نقاط:

– التمفصل المضاعف لبعض الأهواء؛

– هيمنة الكيفيات التنظيرية أو الوظيفية؛

– التوجيه التقييمي للأهواء بين التثمين والبخس؛

– إعادة تصنيف بعض الأهواء الاجتماعية بحيث لم تعد تتوافق مع التعريفات اللسانية؛

وهذه العناصر مجتمعة تؤدي إلى "تحكم عام في تقطيع الأهواء واشتغالها وتسهم في رسم حدود صنافة هووية من طبيعة فردية"[21].

أثر الظرف الذاتي في المتنبي:

عاش المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين(303هـ–354هـ)، (916م–966م) من اجل آمال استنفذ كوامن الإبداع لديه في سبيلها، فانصهرت فيه، فأضحت ذكريات تراوده وقد تمثّلها وجدانه ومخياله الشعري فسجن ذاته الطامحة فيها حتى الاختراق.

وبين مستقبل وماض صنع أحلامه تنازعت الشاعر أهواء متصارعة استدعى بعضها بعضا فهمها مشروط بإيقاعها موقعها من الظرف الذي أوجدها؛ فقد جاء المتنبي في زمن الفراغ إذا أردنا أن نتأوّل مقولة صاحب العمدة فيه: "ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس".

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

إن بلاط الخلافة فارغ من الممدوح والمادح وقد تجشّم أبو الطيب عبء الملء، فكان كتلة قابلة للانفجار جنحت إلى التميز والفرادة. لقد تشتت الحكم العربي وآل كرسي السلطة إلى غير العرب من فرس وأتراك وغيرهم وعمّت الفوضى السياسية* وامتدت آثارها إلى مجالات الحياة، واغترب اللسان العربي في أرضه واغترب معه الشاعر العربي الأصيل الذي يبحث عن ذاته وعن ذات تتلقّف شاعريته ويتلقّف عطاءها، فكان اللقاء التاريخي/ الأدبي بين الأمير: سيف الدولة والشاعر: أبي الطيب العربيين، فكانت أهم مرحلة في حياة الشاعر الأدبية، بثّ فيها كوامنه الموروثة من الصبا والممتدة إلى المستقبل فقال عند أوّل لقاء به في أنطاكيا سنة 337هـ:

غَضِبْتُ لَهُ لمّا رَأَيْتُ صِفاتِهِ بلا واصِفٍ والشِّعرُ تهذي طَماطِمُهْ

(والطمطم هو الغيّ الذي لا يفصح)

تفرض علينا وقفتنا في تناول هوى الطموح عند الشاعر اعتماد منظور منهجي واضح يفصح عن تجربة الشاعر الحياتية–الفنيّة؛ وقد أسهبت الدراسات في الموضوع؛ ولهذا فإننا نختصر المعطيات المفاتيح فيما أورده أنيس المقدسي في "أمراء الشعر العربي في العصر العباسي" حيث حدّد أطوار أدبيّة الشاعر وعواطفها في ظل الظروف التي أثرت فيه كما يلي:

– **الطور الأوّل:** وهو زمن الشباب وعنفوان العواطف، قال:"يمثل عواطف الشباب ونفثات الألم من الزمان، وقد نظم في أنحاء مختلفة من بلاد الشام وفلسطين والعراق ويمتد من زمن الحداثة إلى الرابعة والثلاثين من عمره".

– **الطور الثاني:** وهو ما قاله بين الرابعة والثلاثين والثلاثة والأربعين في حلب في رعاية سيف الدولة وهو يمثل:"1–عواطف العظمة والجهاد القومي كما يظهران في سيف الدولة، 2–عواطف الفوز بالدنيا والقلق من الحساد كما تظهر في نفسه".

– **الطور الثالث:** ويمثل مرحلة وجوده في مصر بين الثالثة والأربعين والسابعة والأربعين:"وهو يمثل غيظه من الماضي وآماله الكبيرة بالمستقبل ثمّ مرارته لفشله".

– **الطور الرابع:** ويمثل مرحلة العراق وفارس بين السابعة والأربعين والحادية والخمسين "أمّا في العراق فذكريات سيف الدولة، وأمّا في فارس فانتعاش أمل لم يلبث أن أخمده الحمام"[22].

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

وقد ارتأينا أن نلج عالم المتنبي في أوّل أطواره وإن لم يكن قد كشف عن شاعرية فذّة بعد، ولكنّها شاعرية أفصحت عن كون متوتر متداخل الأهواء كان آثار لطبقة اجتماعية – نضيف إليها الفراغين السياسي والأدبي المذكورين سابقا– ناقمة على الأوضاع ضيّقت عليه دنياه فأراد أن ينفلت منها. ومشكوك في سيرته آنذاك انّه ادّعى النبوة أو انّه لإفراط في الطموح اتهم بادّعاء النبوة، وكان هذا عاملا أساس في الوقوف على هذه المرحلة ليس لأن نفصل في قضية أسالت حبر الأقدمين والمعاصرين، وإنما لنتناول تخطيب هذا الهوى لديه، فقد راودته أحلام جسام في زمن عاش فيه "العربي" وقد نافسه جزيرته وفتوحاته ودينه ولسانه أقوام اعتقد الشاعر أنّهم ليسوا أهلا لها، ونستبعد أن تكون مسألة استحداث ثروة نفوذ ومال. وقد وقع اختيارنا على إحدى قصائده قالها في صباه مفتخراً:[23]

المقطع الأول:

كَم قَتيلٍ كَما قُتِلتُ شَهيدِ ... بِبَياضِ الطُلى وَوَردِ الخُدودِ
وَعُيونِ المَها وَلا كَعُيونٍ ... فَتَكَت بِالمُتَيَّمِ المَعمودِ
دَرَّ دَرُّ الصِبا أَأَيّامَ تَجريـ ... ـرِ ذُيولي بِدارِ أَثلَةَ عودي
عَمرَكَ اللَهُ هَل رَأَيتَ بُدوراً ... طَلَعَت في بَراقِعٍ وَعُقودِ
راميات بِأَسهُمٍ رِيشُها الهُد ... بُ تَشُقُّ القُلوبُ قَبلَ الجُلودِ
يَتَرَشَّفنَ مِن فَمي رَشَفاتٍ ... هُنَّ فيهِ أَحلى مِنَ التَوحيدِ
كُلُّ خَمصانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الخَمـ ... ـرِ بِقَلبٍ أَقسى مِنَ الجَلمودِ
ذاتِ فَرعٍ كَأَنَّما ضُرِبَ العَنـ ... ـبَرُ فيهِ بِماءِ وَردٍ وَعودِ
حالِكٍ كَالغُدافِ جَثلٍ دَجوجِيـ ... ـيٍ أَثيثٍ جَعدٍ بِلا تَجعيدِ
تَحمِلُ المِسكَ عَن غَدائِرِها الريـ ... ـحُ وَتَفتَرُّ عَن شَنيبٍ بَرودِ
جَمَعَت بَينَ جِسمِ أَحمَدَ وَالسُقـ ... ـمِ وَبَينَ الجُفونِ وَالتَسهيدِ
هَذِهِ مُهجَتي لَدَيكِ لِحيني ... فَاِنقُصي مِن عَذابِها أَو فَزيدي
أَهلُ ما بي مِنَ الضَنى بَطَلٌ صيـ ... ـدَ بِتَصفيفِ طُرَّةٍ وَبَجيدِ
كُلُّ شَيءٍ مِنَ الدِماءِ حَرامٌ ... شُربُهُ ما خَلا دَمَ العُنقودِ
فَاِسقِنيها فِدىً لِعَينَيكِ نَفسي ... مِن غَـــــزالٍ وَطارِفي وَتَليدي

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

شَيبُ رَأسي وَذِلَّتي وَنُحولي وَدُموعي عَلى هَواكَ شُهودي
أَيَّ يَومٍ سَرَرتَني بِوِصالٍ لَم تَرُعني ثَلاثَةً بِصُدودِ

استجوبنا في المقطع الأوّل من القصيدة ذات الشاعر العاشقة وكيف أن حالة هوى العشق متداخل مع هوى الجمال[24]، استدرجانا إلى تناول الكون المتميّز عند الذات المتلفظة، وقد اضطلعت بدورين متكاملين: ذات فعل وذات كون: شاعر/ متيّم، ونلفت أننا لم نهتم هنا بالشاعر المتيّم بقدر ما اهتممنا برغبة الذات المتيّمة في التميّز عن الآخرين، وهو ما شكّل عندنا إرهاصا –استهواء في منظور سيميائية الأهواء– للهوى عند المتنبي:

الاعتقاد في الذات ورغبة الكون المضمرة:

ينفتح المقطع على حالة من السكون والانخفاض التوتري بإعلان الشاعر عن موته قتلا: استشهادا، أي تعطل الحواس لديه ومغادرة الروح الجسد: "كم قتيل كما قتلت شهيد"؛ لقد اكتسبت لفظة "شهيد" شحنتها الدلالية التأثيرية لاعتبار قيمتها الدينية الإسلامية غير منقطعة الآثار؛ فقد سوّى وقوعه تحت تأثير الجمالي الحسّي بوقوع المجاهد في سبيل الله لأجل غاية أخروية، وذلك أن تخريجا دينيا ساد الثقافة العربية الإسلامية في اعتقاد قتيل الحبّ شهيداً، فقد تناولت شروح البيت آخذة عن الواحدي تأويله للبيت استناداً إلى الحديث:"أنّ من عشق فعفّ وكفّ وكتم فمات مات شهيدا"[25]. وعليه فإنّ الذات المتلفظة تتمتع بخصوصية (كون الشهيد) وهو كون ينعم به صاحبه باللذة الروحية، فعمدت إثر التصريح في الاستهلال إلى البوح بجملة العواطف التي ولّدها فيها الموضوع المرغوب فيه، وهو المرأة وجمالها، فتدرّج الخطاب من الكناية إلى الحرفية:

(مسار استهوائي توتري)

شهيد ← ← ← معمود

تدليلا على الكون الهاوي الداخلي المدرك لمدى تأثير الموضوع القيمي فيه، حيث تأرجح التعلق بين ذاكرة الشاعر الأدبية من حيث إن صورة الشهيد في الحبّ متراكمة في خياله سبقه إليها شعراء آخرون –كما أشار إلى ذلك الشراح– * استدعت إليها عددا من الصور البلاغية في وصف المحبوبة وبين ذاتية الشاعر الذاهبة إلى تأكيد التميّز بإرساء صورة عن الفردية في التجربتين –العاطفية والفنية–.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

استقدم مشهد البيتين الأوّل والثاني من حيث هو مقدمة غزلية وخطاب هوى* مجموعة من الوحدات المعجمية الرامية إلى إثبات العنف قيمة محبّبة تأتّت من ولع الشاعر وكشف عنها مخطط التوتر الآتي:

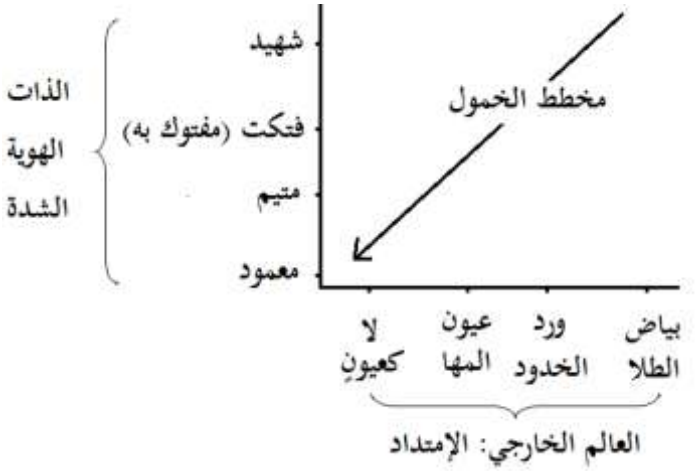

والمخطط من حيث هو تقاطع بين عمودي الشدّة والامتداد عكس الوجدان في ارتباطه بعالم الحسّ المعتمد في تصويرية المقطع على الحسّ البصري وقوّة تأثيره في حسّي الذوق والشم وكذا اللمس، كما سنبيّنه لاحقاً. واللافت فيه أن الذات المتلفظة، وهي ذات الكون الهوّي هي نفسها موضوع الخطاب وقيمته الدلالية اكتسبت هذه الكثافة فأضحت قيمة قيمة Valence بانتزاعها من المرأة: عالم الحسّ حقّ التمتع بالجمال لذاتها وذلك بتوسّل الشاعر المبالغة في تبجيل الذات عن طريق حصرها بين عدد من الأوصاف الجميلة في المرأة والارتقاء بذاته إلى درجة أهليته(أهل ما بي...البيت13) التي أدّت إلى الشهادة.

لقد جعل "الشهادة" وهي مؤثر وجداني في ثقافتنا، أثرا دلاليا لدرجة التعلق بالمادي والتفاني فيه، فبعد هذا الارتقاء خمدت نفسه فعمد إلى فعل حجاجي تفسيري بثّ فيه (والبث واقع في معجمية أهواء التقديم) جملة القيم الجمالية التي أودته شهيدا مهيمنا: لقد توسّل أسلوب حصر المجال وجعل الذات بؤرة رغبة في تحقيق كون التميز؛ فقوله:"كم قتيل كما قتلت شهيد" انفتح من خلاله على تقعيد نسبة من التساوي بينه وبين الآخرين –وهم كثر:"كم" أفصح عنه التشبيه:"كم قتيل مثلي"[26]، علما أن هذا التساوي في مجال القيم والعواطف محفّز للمنافسة بين الذوات وهو المسار الذي حجزه الشاعر باعتباره ذاتا هوية* عن الآخرين،

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

وذلك بناء على المفارقة التي أرساها حجراً أساسيا لإثبات التميز:" **وعيون المها ولا كعيون**" فعيون المحبوبات كلّها واسعة جميلة ولكن عيون محبوبته تفوقها وقد اعتمد أسلوب نفي التشبيه لنفي التساوي وإقرار الفوقية، وهي فوقية دالة على تفوقه هو.

ومن العلامات الحسيّة الكاشفة عن الذات العنيفة على اعتقاد أن العنف كامن في الشاعر ينتظر وخزاً للانفجار في استيعاب دلالات(الصالح) Euphorie في سياق خطاب هوى الجمال:

1– **القتل:** وفيه قوّة الابتداء في تكييف الذات المنفتحة على الرغبة في كون التميّز: وقد أكد ذلك صورة الشهيد؛

2– **الفتك:** وهو القتل بغتة: وهو من باب الصدمة العاطفية التي أحدثها الموضوع في الذات فأصبح مفعولا به.

3– **الرمي بالأسهم:** حيث استعار لقوة النظرة، واستجلاء حسّه البصري خطاب الحرب والمعارك، وهو موافق مع تصوير الشهيد.

وقد انبثق عن الامتداد آثار داخلية أفصحت عن شدّة الوجدان عند الذات:

– ففجّر الإدراك عن طريق حاسة البصر معاناة وجدانية حيث استطاعت نظرة المحبوبة أن تخترق جسده إلى روحه، وقد فسّر هذا الاختراق القول الأوّلي بالشهادة؛

– توسطت الرؤية البصرية بين الذاتين: الذات الشاعرة، والذات الموضوع/ المرأة فكانت العيون كاشفا عن درجتين من التعلّق:

1) **المتيّم:** الذي استعبده الحبّ

2) **المعمود:** الذي قد هدّه الحبّ وكسره؛

ومنه فإن الذات متألمة ألمين شديدين متداخلين: الشعور بالاستعباد في الجانب النفسي والإحساس الجسدي بآثار الهدّ والكسر.

– وقد خلّفا "الشهادة" التي طفحت بالاعتراف المباشر بأثر الحسّ البصري في جسده فأرداه قتيلا.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

والذي نخلص إليه من هذه العجالة في تفسير المخطط أن حالة الركود تحتاج إلى دوافع، إن لم تكن هي نفسها حاملة دوافعها فيها؛ لأن تجليّ آثارا دلالية عاطفية، فجاء التوسيع الخطابي وقد احتضن تغيّرات توترية أفرزت مخططات توترية أخرى، لا يسعنا أن نقف على قراءتها قراءة معمقة، فنرصد أهمّ مميزات الذات المتلفظة وهي تبني عالمها الوجداني في أوّل مراحله.

واستدعى الشاعر فعلي التذكر والدعاء– وهما من خصائص المقدّمات الشعرية– وذلك للطبيعة الدائمة والاستمرارية للذات الراغبة في الكون، فخاطب الزمن والمكان والرفيق –على عادة الأقدمين– تزيينا لذاته من منظور وقوعها موضوعا واستكمالا لإجلاء الدلالات الحسية، فتعالق: الذوق واللمس والشم مع الحسّ البصري الذي تحدثنا عنه سابقا. واستحضار العواطف وخلجات ماضية عدل عن الفعل الماضي إلى الزمن الحاضر

دَرَّ دَرُّ الصِبا أَأَيّامَ تَجريـــ ـــرِ ذُيولي بِدارِ أَثْلَةَ عودي

فبعد فعل الأمر المتضمن معنى الدعاء "عودي" كوكبة من الأفعال لجأ إليها قصد إبراز الاستمرارية والوقوف على لحظة محاورة مركزية:

يترشّفن–تحمل– تفترّ–انقصي –زيدي –اسقيني(ها)

ولعلّ ما يستوقفنا في هذه التصويرية أن الذات تمادت في هواها وانفلتت من قيود الدين فتجاوزت عتباته، قال:

يَتَرَشَّفنَ مِن فَمي رَشَفاتٍ هُنَّ فيهِ أَحلى مِنَ التَوحيدِ

فجمع بين الجسد/ الروح وبين حلاوتين: مادية وروحية، وقد مثل الشطر الثاني مبالغة مفاضلة. بجلّت الذات وابتعدت بها عن أقرانها منذ الصبا حيث استبّد به النشاط والهوى، وقوله "أحلى من التوحيد" "إفراط وتجاوز للحدّ "[27]. وهي قمة المبالغة والاعتزاز بالذات وهو البيت الذي به اتهم الشاعر بالتنبؤ، وعليه فإنّ شدّة ما وصلت إليه الذات رغبة في تحقيق كون التميّز هو لحظة جرأتها جمع اللذة الحسية الجسدية ولذة الإيمان، وقد كان هذا كافيا لاتهامه بالزندقة وادّعاء النبوة.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

جاء في معجز أحمد "إن هذه النسوة يمصصن من فمي مصّات لميلهن لي: هن: يعني الرشفات. في فمي أحلى من حلاوة التوحيد في قلب الموّحد. وهو المقرّ بوحدانية الله تعالى، وهذا أحد ما نسب إلى المتنبي لأجله إلى الكفر، حيث جعل الترشف أحلى من التوحيد..."[28].

قد برّرت بعض الشروح المفاضلة وأخرجت الشاعر من قفص الاتهام إلى فسحة الشعر. ولا نرى شدة في ركوب الهوى أقوى من هذه وعليه فإن مواصفات الاعتزاز بالذات الأخرى في المقطع بدت لنا أقل توّترا من هذا، ذلك أن اعتقاد الذات بطلا أقل درجة من اعتقادها نبيا.

المقطع الثاني:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلّا كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ
مَفرَشي صَهوَةُ الحِصانِ وَلَكِـ ـنَ قَميصي مَسرودَةٌ مِن حَديدِ
لَأُمَةٌ فاضَةٌ أَضاةٌ دِلاصٌ أَحكَمَت نَسجَها يَدا داوُدِ
أَينَ فَضلي إِذا قَنِعتُ مِنَ الدَهـ ـرِ بِعَيشٍ مُعَجَّلِ التَنكيدِ
ضاقَ صَدري وَطالَ في طَلَبِ الرِز ق قِيامي وَقَلَّ عَنهُ قُعودي
أَبَداً أَقطَعُ البِلادَ وَنَجمي في نُحوسٍ وَهِمَّتي في سُعودِ
وَلَعَلّي مُؤَمِّلٌ بَعضَ ما أَب لُغُ بِاللُطفِ مِن عَزيزٍ حَميدِ
لِسَرِيٍّ لِباسُهُ خَشِنُ القُط نِ وَمَروِيٌّ مَروَ لِبسُ القُرودِ
عِش عَزيزاً أَو مُت وَأَنتَ كَريمٌ بَينَ طَعنِ القَنا وَخَفقِ البُنودِ
فَرُؤوسُ الرِماحِ أَذهَبُ لِلغَيـ ـظِ وَأَشفى لِغِلِّ صَدرِ الحَقودِ
لا كَما قَد حَيّتَ غَيرَ حَميدٍ وَإِذا مُتَّ مُتَّ غَيرَ فَقيدِ
فَاِطلُبِ العِزَّ في لَظى وَذَرِ الذُلـ ـلَ وَلَو كانَ في جِنانِ الخُلودِ
يُقتَلُ العاجِزُ الجَبانُ وَقَد يَعـ ـجِزُ عَن قَطعِ بُخنُقِ المَولودِ
وَيُوَقّى الفَتى المِخَشُّ وَقَد خَو ضَ في ماءِ لَبَّةِ الصِنديدِ
لا بِقَومي شَرُفتُ بَل شَرُفوا بي وَبِنَفسي فَخَرتُ لا بِجُدودي
وَبِهِم فَخرُ كُلِّ مَن نَطَقَ الضا دَ وَعَوذُ الجاني وَعَوثُ الطَريدِ
إِن أَكُن مُعجَباً فَعُجبُ عَجيبٍ لَم يَجِد فَوقَ نَفسِهِ مِن مَزيدِ

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

أَنا تِربُ النَدى وَرَبُّ القَوافي وَسِمامُ العِدا وَغَيظُ الحَسودِ
أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَـــهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمو دِ[29]

بعد معاينة بعض تجليات الذات المتلفظة باعتبارها ذاتا هوية في إطار علاقتها مع الآخر في سياق الأهواء البيذاتية: هوى الحبّ وهوى الجمال، تبيّنت لنا باتيمية الشاعر في رغبة التميّز مهيمنة لديه. وقد أتى المقطع الثاني ليفاجئنا بافتتاحية صادمة: صدمة هوى، قائمة على التجاوزات الدينية التي أصرّت عليها عن طريق التكرار. فعمدت إلى نشرها بفعل توسيعي تأكيدي عبر حجاجية التشبيه المباشر الذي اكتسب قوّته من التصريح بأسماء الأنبياء:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلّا كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ
انا في امة تداركها اللـــه غريب كصالح في ثمود

وقد تعزّز هذا المدّ الحجاجي بان كان الشاعر قد أعلن عن ذاته المادية الاجتماعية في البيت11:

جَمَعَت بَينَ جِسمِ أَحمَدَ وَالسُقـــ ـــمِ وَبَينَ الجُفونِ وَالتَسهيدِ

فكانت أسماء الأنبياء: كما ظهرت في الخطاب: أحمد: وللإشارة فإنّه لم يعن بذكر اسم أحمد النبي عليه الصلاة والسلام وإنما عنى نفسه: أحمد بن الحسين؛ المسيح –داود– صالح تكثيفا وصناعة منه لتصويرية خطابية تمثّلها.

تكوّن الطّموح:

لقد اخترق الشاعر المنظومة العربية بكلّ أبعادها فركب هواه –على حدّ تعبير الثقافة العربية– وصوّر ذاته كما يراها؛ ويبقى تساؤلنا كيف تكوّنت ذاتية الطموح من خلال النص؟

لقد أسهم المقطع الأوّل بإرساء الذات في حالة الاستهواء Phorie وهو اندفاع محسوس ودال" وهو حالة قبلية عن الانبثاق الذي يجليه اتجاهاه: الطالح/ الصالح، وإذ هو "يؤدي ويدفع" إلى... فقد اعتبر شرطا قبليا لظهور الدلالة[30]. حيث وقفنا عند لحظات التأزم في الهوى والاسترخاء وقد استطاع الخطاب أن يفصح عن الرغبة الكامنة في الذات ورصد مجمل حركاتها. لقد مثل المقطع تعبيرا عن الحسّ الأوّل لدى الذات وهي واقعة تحت تأثير الجمال الحسّي للمحبوبة ولم تحدد مسارا عاطفيا جليّا بعد، غير أن النص يزخر بقاموس

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

الأهواء المتداخلة فسرّب إيماء الشاعر إلى تميّزه الذي نعتبره انبثاقا عن حالة الضغط الواقع تحتها، وقد أتى المقطع الثاني ليستوعب هذا الانفجار في سياق دلالات الصالح Euphorique في منظور الذات والطالح Dysphorique في منظور المنظومة السائدة.

إن التعيين الذي مارسه شراح الديوان في افتتاح شرح القصيدة "وقال مفتخراً في صباه" ليس فعلا قسريا بقدر ما هو فعل توجيهي مقصدي نستثمره في إرساء أسس تشكل ذات الطموح، فالفخر "التمدح بالخصال وعدّ القديم والمباهاة بالمكارم من حسب ونسب، وقيل هو المباهاة بالأمور الخارجة عن الإنسان، كمالٍ أو جاهٍ وقيل الفخر ادّعاء العظم والكبر والشرف"[31].

يضعنا تصور المعجم للفخر أمام المعطيات السيميائية الآتية:

– أن الذات في علاقة اتصال مع موضوعات: مآثر، وهي بذلك في حكم المرغوب فيه.

– أن طبيعة هذه الموضوعات تصنيفية تقييمية لطبقة الانتماء الاجتماعي والاقتصادي من خلال معياري: الحسب والنسب، والمال والجاه؛

– أن طبيعة هذه الصلة قد تكون حقيقة وقد تكون زائفة: ادّعاء، وهو ما يجعلنا نقول إن الاتصال قد يكون على مستوى التصاورات Simulacres بحيث تدخل الذات تحت مخيال هووي تتبنّاه، فتدّعي لها خصالا فتقوم بالثناء عليها "تتمدّح".

وإذا تعلق الأمر بالشاعر العربي القديم، فقد حمّل الغرض الشعري (الفخر/ الافتخار) همومه الفردية والاجتماعية القبلية، فكان بالنسبة إليه الملاذّ والدفاع –مثل الهجاء– يسعى من خلاله إلى ردّ هجوم الغير عن طريق الإعلاء من شأن الذات والقبيلة بذكر المحامد والتباهي بها، مرّد ذلك إلى بعد نفسي تكويني في الإنسان ينزع به إلى حبّ الذات، وقد كان حاجة ومطلبا ضروريين في الثقافة العربية. وعلى اعتبار الفخر هو امتلاك لسلسلة من القيم الثقافية العليا تقاطع مع الطموح باعتباره برنامجا افتراضيا عند الذوات المنفصلة عن المآثر، والذي بموجبه تنزع الذات اعتراف الآخر بها وتحقق مبتغاها، قيمها العليا، وهو هدف أسمى تكوّنه جزئيات يرتبط بها تدريجيا–لأن هدف الطَموح غير منته– مقدّما كثيرا من التنازلات على حساب أخلاقيات تكريم الذات.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

لقد فجّر المقطع الثاني موضوعات المرغوب فيه التي كان له أثر مباشر في إرساء هويّة الشاعر في مقطع الابتداء –الغزل– فخري، بحيث أكّد التزامه بمبدأ تجاوز العتبات الضابطة للممارسات الدينية والاجتماعية وهو مبدأ صادر عن الذات بحكم انفعالها وردّة فعلها السلبية لمعيش الذات، فعمد إلى تمثيل نفسه بالأنبياء –عليهم السلام– تماديا في تعظيم النفس وإيقاعها المقام العالي وهو الذي يلائم الطموح من حيث امتداد البصر.

إن لحظة "الخمود" التي عايشتها الذات بعد أن بلغت أقصى درجات التوتر معلنة عن موتها: خمود الجسد، ومن ثمّ انبعاثها لتفسير الحالة حجاجيا أسفرت عن انبثاق حركة عاطفية استوعبها مخطط التضخيم:Amplification وهو: سيناريو "Scénario" يقوم على أساس التطوّر إذ ينطلق على قليل من الشدة وقليل من الامتداد ليصل إلى توتر أقصى[32]:

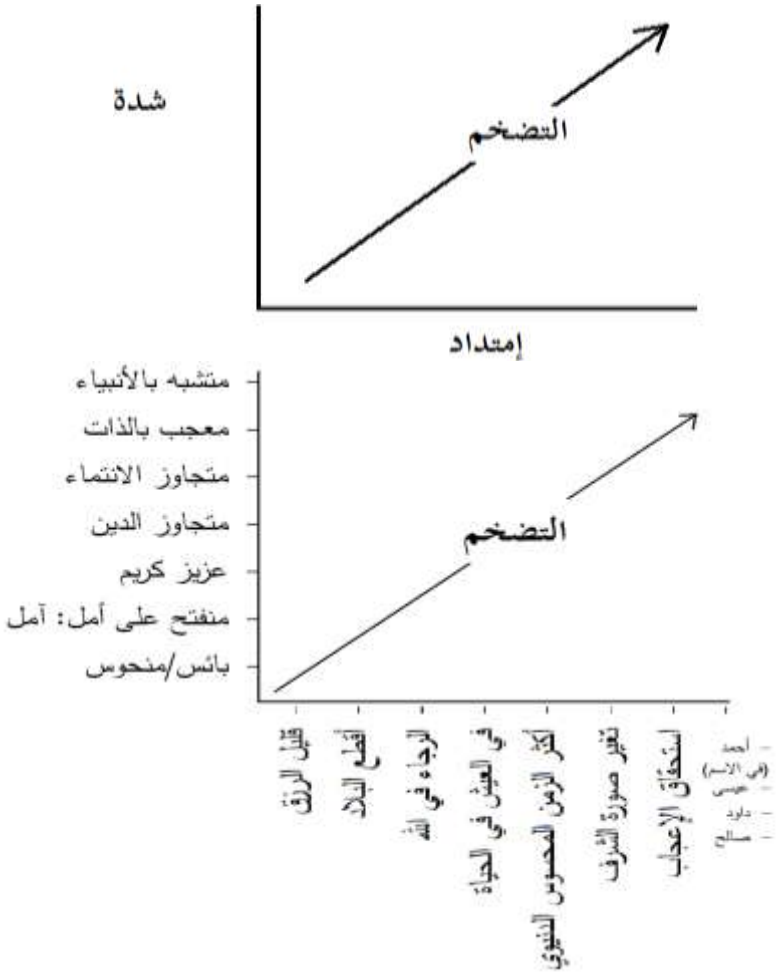

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

إن الحالة الشعورية لدى الذات معقّدة ودائمة[33] مستمرّة وهو ما أدى إلى انبعاث الوجدان مرة ثانية فانتشرت أحاسيسه ونزعاته وامتد أفقها مؤكدة بذلك مجمل الباتيمات –التي رصدنا في محور الشدة– فتمثلت لنا الذات المتلفظة ذاتا باتيمية شكلتها الأدوار، وعليه فهي:

- راغبة في اعتلاء المقام العالي: وقد استعارت لأجل ذلك التشبه بذوات الأنبياء من حيث هم أعلى مرتبة في الأقوام، غير أن اللافت للنظر أن من جملة مواصفات التواصل بين الرسل والأقوام انتقى الشاعر (اللاتواصل)، فتأسست العلاقة بين الذات وعالمها الخارجي في بعده الاجتماعي على التنافر حيث تبنّت ذاته العاطفية مبدأ التركيز وضبط الرؤية عن طريق تكثيف آثار التشبيه –على المشبه به في عموم ذكر وجه الشبه:

1) مقام المسيح بين اليهود: وهو الدال على كثرة أعدائه في المكان والزمان.

2) غربة النبي صالح بين قومه ثمود، ولعل ذلك دال على شدة الاغتراب بحكم الانتساب العربي للنبي صالح عليه السلام.

لقد أفرطت الذات في هذه التصاورية وذلك أنها أرادت أن تقرّ بنموذجيتها فهي فوق: العرب وفوق النصارى وفوق اليهود، فكيف لا يحقّ لها أن ترتقي على من تطفل على الأمة العربية من الأجناس التي هيمنت في عصره.

- راغبة في اكتساب الأفخر من الأشياء والأثمن: بعد التثمين المعنوي تجسّد التثمين في الماديات حيث سدّد الوجهة نحو خطاب الفخر الذاتي فوقع على توصيف (الدرع) باعتبارها علامة على الفروسية والشجاعة، وقد أسدل عليها من الصفات الراقية إذ هي صنعة داود عليه السلام ما هو كفيل بها أن يرفعه عن الدونية التي ربّما كبّلته.

- معتقدة في الذات(النزوع نحو الأفضلية): لقد جلّى الخطاب القدرة في الذات Pouvoir Faire على تحقيق كون ذات Etat D'être مغايرة تماما لما توارثته الخطابات النقدية والأدبية عن سيرة الشاعر الشخصية فقد انتمى إلى طبقة من العوام حيث كان أبوه سقاء فباع الماء وباع هو(الشاعر) الشعر في "سوق الكساد"؛ وقد نقل المقدسي بيتين قيلا فيه:

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَا ءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَـاءَ الْمُحَيَّا[34]

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

وعليه فإنّه منفصل عن مقوّمات التميّز والرفعة الاجتماعيين: الحسب والنسب والمال، ولكنه كذات حاسّة مدركة، فقد رأى نفسه أهلا وكفءا لكلّ خصال الارتقاء والتي هي محامد تخوّله اعتلاء كرسي السلطة، وقد سرّب الخطاب الشعري تزاحم الدونية والفوقية فيه فأفصح عن نزوع نحو الأفضلية ناسفا بذلك التقييم الاجتماعي لكونه الطامح كما ورد في البيتين السابقين فقال:

أَينَ فَضلي إِذا قَنِعتُ مِنَ الدَهــ ــرِ بِعَيشٍ مُعَجَّلِ التَنكيدِ

لقد تمثّل نفسه فوقيا ممتدا جامحا مثل الفرس؛ وعلاقته بالفرس العربي الأصيل قوية التفاعل؛ عاصيا صاحبه خارجا عن سيطرته.

- معتقدة في الخصال: وقد هيمن هذا الدور في المقطع وجلّى تشكّل الذات في حال هواها مصوّرا اندفاعها نحو الأعلى لا تبالي بمن يريد منها الإقلاع عن مشروعها. فقد استدعى الاعتقاد في الخصال وجوب التميّز في الكون من حيث هو كلّ منضد من جزئيات قيمية متعالية، وعليه فالذات الهويّة تراتبت من خلال انشطارها إلى بعدي الاستهواء: الطالح والصالح فقد انغمرت تحتهما وهي على:

أ- مستوى الطالح: انجرفت باعتبارها مقيّدة بهوى إلى هوّة من الإحساس السلبي، توّلد عن كون غير مرغوب فيه؛ وهو واقع الانتماء إلى الدنوّ، وهي قيمة مرفوضة استقطبت إليها عددا من المشاعر الموخزة: ضيق الصدر: وهو انفلات الإحساس إلى علامة جسدية بارزة؛ النحس –السعود –التنكيد –الحقد –الغيض، وهي التي تمثل ذات الكمون في دراسة الأهواء؛

ب- مستوى الصالح: وعلى الرغم من قوّة هذه الأحاسيس فإنّ الذات قاومت ورأت وجوب الانفلات منها إلى عالم أرحب: زمانا ومكانا، فانفتحت على الأمل الذي جلب إليه شبكة من القيم الدافعة نحو ذات التحقق؛ وذلك أنّها تشبثت بجملة من المعايير القيمية المتفائلة النازعة نحو تحقيق الكون الجديد، ومنها: الرجاء في الله –العيش بعزّة – الموت بكرامة – الإعجاب بالذات –الانتماء القومي العربي؛ ولا يخفى أنّ كلّ عنصر باتيمي من هذه العناصر قابل للاستثمار وتحليل تجلياته في البعد العاطفي في الخطاب.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

▪ وجوب الكون وتداخل الكيفيات: لقد انتهى بنا تخطيب الذات الهوية وقد عمل إلى إرساء وجوب كونها: الرغبة والقدرة والإرادة فتآلفت في تكثيف الصورة المثلى للطموح ومنظوره التقييمي الذاتي باستدعاء ضمير الأنا للهيمنة على الغير وإبراز نجاح المشروع وتحققه شعرا:

أَنا تِربُ النَدى وَرَبُّ القَوافي وَسِمامُ العِدا وَغَيظُ الحَسودِ
أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَـــــهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ

واللافت أن الذي انتهى إليه التعبير عن الذاتية استدعاؤه للجمل الاسمية القصيرة المكثفة والمقلصة للامتداد ولكنها في ذات الوقت مفجّرة لشدة العاطفة، تمثلت في المخطط التصاعدي للتوتر:

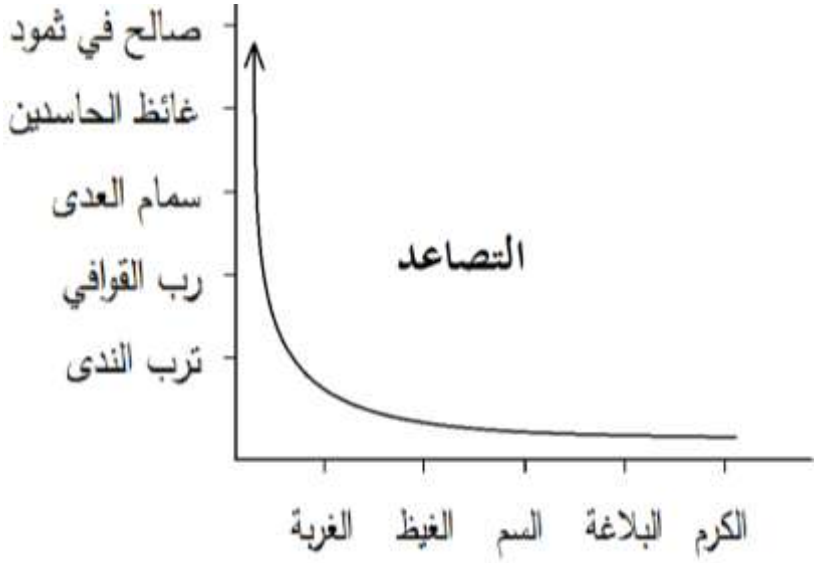

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

الخلاصة:

تطرقنا إلى قراءة سيميائية في هوى الطموح عند المتنبي محاولين الوقوع على آليات اشتغال هذا الهوى في قصيدة فخر قالها في صباه مطلعها:

كَم قَتيلٍ كَما قُتِلتُ شَهيدِ بِبَياضِ الطُلى وَوَردِ الخُدودِ

وهي من شعره قبل شهرته، فعمدنا أوّلا إلى إرساء المفهوم السيميائي لهوى الطموح، ورصدنا الوحدة في معاجم العربية، وقد أسفر العمل عن نتائج نذكر منها:

- أن الشاعر تعيّن ذاتا هويّة طموحة حيث انطبقت الباثيمات المحددة لهوى الطموح على تلفظه الذي فضح نزوعه نحو التفوّق على الغير نابذاً "الدونية" التي وسمته؛
- كشف التحليل عن فردية هوى الطموح، وبذلك تصنف الطموح باعتباره هوى فرديا؛
- و أقرّ عددا من الأدوار الباتيمية للشاعر؛
- وأظهرت الدراسة تداخل الأهواء وتزاحم المخططات التوترية على الذات؛
- وأن هوى الطموح تقيّم من منظور الذات صالحا وتقيم من منظور المنظومة العربية طالحا.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

قائمة المصادر والمراجع:

1. باللغة العربية:

1) أبو العلاء المعري: معجز أحمد: تح ودراسة: عبد المجيد دياب، الجزء الأول، دار المعارف، مصر، ط2، 1992.
2) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2008.
3) أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، الجزء الثالث، عالم الكتب، مصر، ط1، 2008.
4) أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط11، 1977.
5) جمال الدين بن منظور: لسان العرب، الجزء الخامس، دار الحديث، القاهرة، 2002.
6) سعيد بن كراد(مترجم): سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
7) سليمة مدلفاف: "مقدمات المعلقات، مقاربة خطابية نصية من منظور سيميائية الأهواء" في المدونة، مج09/ع01، ماي 2022.
8) شرح الواحدي لديوان المتنبي، ضبطه وشرحه وقدّم له وعلق عليه وخرّج شواهده ياسين الأيوبي وقصي حسين، المجلد الأول، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
9) محمد مرتضي الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء السادس، تح: حسين نصار، كطبعة حكومة الكويت، 1969.

2. باللغة الفرنسية:

1) Algirdas Julien Greimas, Jacques Fontanille : sémiotique des passions des états de choses aux états d'âmes, édition Seuil paris, 1997.
2) Elizabeth Rallo Ditché, Jaques Fontanille, Patrizier Lombardo : dictionnaire des passions littéraires, édition belin,2005.
3) Jacques Fontanille : sémiotique du discours édition Pulim, 2003.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

الهوامش:

[1] -Elizabeth Rallo Ditché, Jaques Fontanille ,Patrizia Lombardo : dictionnaire des passions littéraires , édition belin,2005 ,P.P. 27-41. نشير إلى أننا اعتمدنا في هذه الدراسة على ترجمتنا الخاصة لما ورد في المعجم.

[2] – Ibid. p27.

*– فضلنا استبدال الحديث عن عدم شبع الطموح بعدم الارتواء.

[3] –Ibid. p28.

*–" الصالح/ الطالح: الصالح Euphorie، الطالحDysphorie ينبثقان عن الاستهواء باعتبارهما الشكلين الأوّلين المسؤولين عن استقطاب الهووي. وآثرنا أن نترجمها بهذين اللفظين، لأن الطالح والصالح عامّان ولا يقودان إلى الغموض كما هو الحال مثلا مع سلبي وإيجابي؛ إنهما يستوعبان حدّا بحّ كلّ الحالات الايجابية من جهة صالح وكلّ الأشياء السلبية طالح" سعيد بنكراد(مترجم): سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص31، هامش رقم 45.

[4] –Ibid. p34.

[5] –Ibid.p27.

*– ترجمنا: Fréquenter le monde بالانفتاح على العالم.

[6] –Ibid.37.

* – الباتيمات Les Pathèmes : "العناصر الدالة على الدور الباتيمي من قبيل العلامات التي تدل على غضب الغضوب أو بخل البخيل". سعيد بن كراد، ص35. هامش رقم 54(التمثيل بالغضوب والبخيل لأنهما نموذجان في الدراسة السيميائية للأهواء: درس غريماس هوى الغضب la colère في مقال مستقل عن كتاب سيميائيات الأهواء (مشترك مع جاك فونتاني) وقد تناولا فيه هووي البخل: avarice والغيرة La Jalousie. الدور الباتيمي، ص57–58، هامش رقم 23.

[7] –Ibid.32.

*– استقى المعجم هذه الباتيمات من قراءة قصة Alcibiade.

[8] –Ibid.p27.

[9] –Ibid, p.p. 34.38.

[10]– أحمد بن فارس (ت395ه): معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2008. ص600.

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

[11]– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس الجزء السادس، تح: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، 1969، ص.ص: 588–590.

[12]– جمال الدين بن منظور: لسان العرب، الجزء الخامس، دار الحديث، القاهرة، 2002، ص640.

[13]– أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، الجزء الثالث، عالم الكتب، مصر، الطبعة الأولى، 2008، ص1414.

[14]– أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ص206.

[15]– نفسه، ص991.

[16]– نفسه، ص991.

[17]– المرتضى الزبيدي: تاج العروس،348/6.

[18]– نفسه، ص246/6.

[19]– سعيد بن كراد(مترجم): سيميائيات الأهواء، ص133، هامش رقم59.

[20]– نفسه، ص136.

[21] -Algirdas Julien Greimas, Jacques Fontanille : sémiotique des passions des états de choses aux états d'âmes, édition de Seuil paris, 1997, p100. وينظر ترجمة القول: سعيد بنكراد، ص146–147.

[*]– توزع الحكم على أياد متعددة: بنو بوية، بنو حمدان، الإخشيون، الفاطميون، القرامطة، الديلم...

[22]– أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط11، 1977، ص353.

[23]– شرح الواحدي لديوان المتنبي، ضبطه وشرحه وقدّم له وعلق عليه وخرّج شواهده ياسين الأيوبي وقصي حسين، المجلد الأول، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص159–173. في القصيدة ستة وثلاثون بيتا أوردنا الجزء الأوّل منها.

[24]– ينظر في هذين الهووين: قاموس العواطف الأدبية، Passion amoureuse p.p153.176.Passion du beau p.p177.205

[25]– ينظر شرح الواحدي لديوان المتنبي، 158/1.

[*]– جاء عند الواحدي في الهامش: "هذا بيت لا يطلب منه استخراج سرقة لأن معناه متداول؛ وأوّل من جعل قتلى الحبّ شهداء من الشعراء جميل بن محمد في قوله:

لكلّ حديثٍ بينَهنَّ بَشَاشَةٌ وكُلُّ قَتيلٍ عِندَهُنَّ شَهيدُ

المجلد: (15) العدد: (01) السنة: 2023 صفحات المقال: 12– 37 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

ومثل قول ابن الحاجب:

مُت شَهيدَ الهَوى فَإِنَّ لِمَن ما تَ مِنَ الحُبِّ ضِعفَ أَجرِ الشَهيدِ

ونريد أن نلفت هنا أن مساحة المقال لا تفي إثارة قضية هوى الحبّ في الثقافة العربية الأدبية، وهو موضوع له خصوصيات.

*– ينظر في دراسة المقدمة الشعرية من منظور الأهواء، سليمة مدلفاف: "مقدمات المعلقات، مقاربة خطابية نصية من منظور سيميائية الأهواء" في المدونة، مج09/ع01، ماي 2022، ص.ص: 827–854.

[26]– الواحدي: 158/1.

*– تفسير هذه النقطة يجرّنا إلى الحديث عن هوى الحب والغيرة باعتبار هذه الأهواء هنا بيذاتية أي تتشارك فيها مجموعة من الذوات، وينظر في الموضوع: J. Fontanilles , A.J.G. ,sémiotiques des passions (la jalousie) p.p. 189.322.

[27]– الواحدي، نفسه، 162/1.

[28]– أبو العلاء المعرّي: معجز أحمد، تح ودراسة: عبد المجيد دياب، الجزء الأول، دار المعارف363–449، مصر، ط2، 1992، ص71.(ملاحظة: توافق الصفحة صفحة رقم 212 الكترونيا).

- شرح الواحدي: 166/1-173. [29]

[30]– سعيد بن كراد: مترجم/سيميائية الأهواء ص14(هامش رقم 15).

[31]– المرتضى الزبيدي: تاج العروس، ص305/13.

[32] – Jacques Fontanille : sémiotique du discours, p114.

[33] – Greimas, Fontanille : sémiotique des passions, p93.

[34]– أنيس المقدسي: أمراء الشعر العباسي، ص348.